

الواقع المؤلم (موت الزوجة، موت الأخ، إغالة أسرته، وابن زوجته، وأولاد أخته، والديون المتراكمة بسبب نقص عدد المشتركين في الجريدة، والعمل ليل نهار في الجريدة.. الخ) استمر دوستوفسكي يتدبر أمره سنة كاملة إلى أن انتهى إلى قرار خطير وهو تعطيل إصدار الصحيفة، أي في عام (1865). ومنذ تلك اللحظة صار دوستوفسكي طريداً للدائنين، ومع ذلك سدد بعض الديون، ووقع عقداً لنشر أعماله السابقة من جديد مع شراء حقوق نشر رواية جديدة، أخذ المبالغ وفر هارباً إلى أوروبا، إلى ألمانيا تحديداً.

ولعل أهم المفارقات التي صادفت دوستوفسكي في فترة انعدام ألقه الاجتماعي، والنفسي، والإبداعي (أي في فترة وفاة زوجته وأخيه، وإغلاق الصحيفة، وتسابق الدائنين من أجل استيفاء ديونهم) تتمثل في توقيعه عقداً مع أحد الناشرين واسمه (ستيلوفسكي) فحواه أن يعيد نشر ما نشره دوستوفسكي من أعماله سابقاً بطبعة جديدة، وأن يسلمه رواية جديدة لم تنشر في الصحف من قبل لقاء مبلغ زهيد مقداره ثلاثة آلاف روبل، على أن تصدر الأعمال المطبوعة في ثلاثة مجلدات بالإضافة إلى طباعة الرواية الجديدة في طبعة مستقلة عن هذه المجلدات الثلاثة، وقد قبل دوستوفسكي بهذا المبلغ وبهذه الشروط لأنه كان في ضائقة مالية على غاية من البشاعة واللاإنسانية، كان الوقت آنذاك في أواخر عام (1865) وعليه أن يقدم الرواية الجديدة كاملة في مدة أقصاها أواخر عام (1866)، وحين قبض هذا المبلغ سدد به بعض ديونه المستعجلة ورحل إلى أوروبا ليعيش في فسادن (المدينة الألمانية المشهورة بأندية القمار)، وهناك شرع بكتابة روايته (الجريمة والعقاب)، وراح ينشرها فصلاً متعاقبة في مجلة (الرسول الروسي) وقد تقاضى عنها اجرا مقداره أربعة آلاف روبل.

في (فسبادن) الألمانية عاش حياة قاسية جداً كانت هي سجنه الحقيقي الذي ذكره كثيراً بسجن سيبيريا، فقد خسر كل ماله من مال، فصار طريداً لطاولات اللعب أولاً، ثم طريداً لصاحب الفندق الذي نزل عنده ثانياً، كما صار طريداً لأخبار البريد القادمة إليه في موسكو وبطرسبرغ ثالثاً لعل إحدى الرسائل تحمل إليه بين تضاعيفها حوالة بريدية فيها بعض النقود.

لقد عاش في (فسبادن)، في وسط اجتماعي وحشي السلوك، لاعلاقة له بالإنسانية أو بالأدب والتقدير، فما من أحد في تلك المدينة كان يعرف أن الرجل أديب معروف ومشهور في روسيا، وأنه يعيش في فندق لا يقدم له الطعام، وأنه ينام دونما عشاء، وأنه يعيش أكثر الأيام على الشاي والخبز. ولم يكن له من منفذ